

# ملاحم البيئة في شعر ابن سعيد المغربي

م.م. زهراء نعمة حسن السعدي

كلية التربية - جامعة ديالى

## المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ، والصلاة والسلام على خيرته من خلقه محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين .  
وبعد ..

فالبيئة ما يحيط بالإنسان ويؤثر فيه وفي تصرفاته وأقواله وأفعاله ولا يمكننا أن نتوقف عند الطبيعة النضرة ونعدّها البيئة المحيطة بالأديب والتي تؤثر في أدبه ، ولكن البيئة تمتد لتشمل كل أبعاد الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ، ومن هذا الجانب كان لابد لمن يبحث في أبعاد البيئة وملاحمها، وما يتضح من معالم تلك البيئة في أدب أي أديب أن ينظر إلى ذلك الأدب ويتصفحه ، ويتأمل فيه أن يجد الشاعر لا يبتعد بل لا يمكنه أن يبتعد أو يتجنب تأثير البيئة المحيطة في شعره ، وربما يعد هذا الموضوع من الموضوعات الشيقة التي تعرّف الباحث والقارئ على السواء ملامح وصور لبيئة مضت وأصبحت ذكريات نلمح طيفها ينبعث مشعاً من بين الصور التي خلفها الشعراء لبيناتهم ، وكلما ازداد تعلق الأديب ببيئته كانت ملامح تلك البيئة أكثر ظهوراً في أدبه .

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الشاعر الذي وقع عليه الاختيار هو ابن سعيد المغربي كان من الشعراء الذين تنقلوا بين المشرق والمغرب فكل البلاد التي تنقل فيها كانت هي بلاده راح يصفها ويبيدي ملاحمها من خلال نصوصه الشعرية والنثرية على السواء .

لقد قسّم هذا البحث على أربعة مباحث يسبقها مدخل عرّفت فيه بنبذة موجزة بابن سعيد المغربي وبعض الأحداث المهمة في حياته بحسب ما يقتضيه البحث ، ثم المبحث الأول الذي تناولت فيها البيئة السياسية ومدى تأثيرها في شعر ابن سعيد ، وكيف ظهر هذا من خلال الملاحم المتعلقة بالحياة السياسية التي انعكست في شعره لأهمية الحياة السياسية في عصر الشاعر ، ثم المبحث الثاني الذي تناولت فيه البيئة الاجتماعية وذلك لكونها على صلة وثيقة بالبيئة السياسية فاستقرارها يؤدي إلى استقرار الحالة الاجتماعية في أي مجتمع ، ثم المبحث الثالث والذي دار حول البيئة الثقافية وبيان ما لها من أهمية في حياة الشاعر ، ثم المبحث الرابع والذي تناولت فيها الطبيعة وحاولت أن أبين ملاحمها في شعر ابن سعيد لاسيما إنها

احتلت مكانة كبيرة عند الشعراء ، ثم تلت هذه المباحث خاتمة بيّنت فيها أهم النتائج التي توصل اليها ، ومن ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها في البحث .

ولابد من الإشارة إلى أن أهم المصادر المعتمد عليها نفع الطيب بجزئه الثاني الذي كان بمثابة الديوان للشاعر ، ثم كتاب المغرب في حُلَى المغرب الجزء الثاني أيضاً لاحتوائه الكثير من النصوص الشعرية لابن سعيد ذلك ؛ لأن ديوانه الشعري مفقود ، ثم بعض المصادر التي أغنت البحث ككتاب فوات الوفيات ، وكتاب القدر المَعلى وغيرها .

ولا أعد عملي هذا كاملاً بل هو عمل بشري يشوبه النقص والقصور ولكنني أتمنى أن يكون ثمرة نافعة في بابه .

والله ولي التوفيق

ملخص البحث

يدور موضوع هذا البحث حول تأثير البيئة في شعر ابن سعيد المغربي ، من شعراء القرن السابع الهجري ، والذي يُعد من الشخصيات المعروفة في ذلك الوقت ، إذ عُرف من خلال المؤلفات الكثيرة التي خلفها بعده والتي أغنت المكتبة في مجالات متعددة ، ولا يخفى أن ابن سعيد من الشعراء المعروفين في وقته وقد خلف نتاجاً ضخماً كما يصفه صاحب نفح الطيب .

والمتمأمل في هذا النتاج الشعري يستطيع أن يجد مجالات كثيرة للدراسة من أهمها ما تركته البيئة من أثر في شعره ، وكيف انعكست ملامحها وصورها بشكل واضح للمطالع في هذا النتاج ، وكان لا بد أن تظهر ملامح البيئة متجلية في نواح متعددة أولها الناحية السياسية وذلك لطبيعة الحياة التي سادت العصر ، ومثلت هذه الناحية المبحث الأول، إذ قُسم البحث على مباحث أربعة سبقها مدخل تضمن نبذة موجزة عن حياة ابن سعيد ثم المبحث الأول سابق الذكر ، تلاه المبحث الثاني الذي تضمن ما انعكس في شعره من ملامح مثلت البيئة الاجتماعية والتي كانت على اتصال وثيق بالبيئة السياسية ، ولا ننسى أهمية البيئة الثقافية في حياة شاعر متعلم مثقف نهل العلم من أوسع أبوابه فكان لا بد أن تجري على لسانه ملامح هذه البيئة التي كانت المبحث الثالث ، أما المبحث الرابع فقد تناولت فيه ملامح الطبيعة وكيف برزت صورها عند الشاعر ابن سعيد جال في أماكن كثيرة وتنقل بين بيئات مختلفة ، وحاولت في هذه الوريقات أن ألم إمامة سريعة بما أبداه الشاعر من ملامح لبيئته فجاءت ملخصة في الخاتمة التي حاولت أن أجمع فيها ما توصلت إليه من نتائج ، ثم أخيراً جاءت قائمة المصادر والمراجع والتي توقفت فيها ع ند بعض المصادر والمراجع التي أغنت البحث ، وساعدت في وصوله إلى صورته النهائية علها تكون صورة مرضية للمطالع فيها ، تقترب مما حاول ابن سعيد ان يصوره ويعكسه من ملامح لبيئته .

## نبذة عن حياة ابن سعيد المغربي

يُعد ابن سعيد المغربي واحداً من الشخصيات التي عرفها القرن السابع الهجري ، إذ عُرف بنشاطه الأدبي الذي كان سبباً في خلوده من خلال المؤلفات التي تركها والتي لا تستغني عنها المكتبات العربية في العديد من المجالات التي حوتها مؤلفاته ، وهذا ما جعل لسان الدين ابن الخطيب يقول عنه (( هذا الرجل وسطي عقد بينه وعلم أهله ودرّة قومه ، المصنف الأديب ، الرّحال ، الطرّفة الإخباري ، العجيب الشأن في التجوال في الأوطان ، ومداخلة الأعيان ، والتمتع بالخزائن العلمية ، وتقويد الفوائد المشرقية والمغربية ))<sup>(1)</sup> ، كما عُرف أيضاً كشاعر دخل الساحة الأدبية من أوسع أبوابها .

وابن سعيد هو : علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ، يعود نسبه إلى عمار بن ياسر الصحابي الجليل<sup>(2)</sup> .

وُلد ابن سعيد عام ( 610هـ ) في قلعة يحصب قرب غرناطة ، أو قلعة (بني سعيد)<sup>(3)</sup> ، وقد لُقّب بألقاب كثيرة منها: النور، و نور الدين . نشأ ابن سعيد نشأة أدبية ، إذ عُرفت أسرته بالاهتمام بالعلم والأدب ومتابعته ، ونمّت في صغيرها هذا الحب فنشأ محباً للعلم متابعاً له . لقد عُرف والده برحلاته الكثيرة في البحث عن المادة العلمية واستقصائها ، وكان ابن سعيد متابعاً لوالده في ذلك ملازماً له ، فنشأ على حب الرحلة في طلب العلم وشجّع على ذلك الوضع السياسي غير المستقر ، فقد تميز القرن السابع بأحداث سياسية متأججة ، ولم تكن الحياة مستقرة لا في المشرق - دخول المغول إلى بغداد- ولا في المغرب إذ بدأت الدول والممالك الأندلسية بالسقوط بأيدي الأسيان .

لقد عاصر ابن سعيد سقوط بعض الدول الأندلسية قبل أن يغادر الأندلس إلى المشرق عام ( 639هـ ) . وكان خط سيره قد ابتداء من المغرب مروراً بتونس فمصر فالشام فالعراق فالحجاز ، وقد عاصر سقوط بغداد عام ( 656هـ ) بأيدي المغول ، وكان لكل هذه الأحداث أثرها على ابن سعيد ، لاسيما انه مؤرخ مهتم بالتاريخ<sup>(4)</sup> . امتازت شخصية ابن سعيد بكونها شخصية أدبية فذة ، فهو كاتب معروف اهتم بالتاريخ وتدوينه ثم الأدب ، وقد ترجم للعديد من الشعراء المعروفين والمغمورين الذين قلّ ذكرهم في المصادر أو لم يُذكروا فيها ، وقد كان ابن سعيد شاعراً ، وسُجّلت قصائده في العديد من المناسبات وكانت له أمداح في الملوك الذين عاصروهم ، وله قصائد أيضاً في مناسبات مختلفة ، فضلاً عن مجالس الأصدقاء ، إذ سُجّلت له اخوانيات كثيرة تنقلها مصادر الأدب<sup>(5)</sup> ، فضلاً عن كونه

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة ، 4 : 153 .

(2) ينظر في ترجمته: نفع الطيب ، 2 : 330 . حسن المحاضرة : 555 . فوات الوفيات ، 2 : 178 .

(3) ينظر: نفع الطيب ، 2 : 333 .

(4) ينظر: المقتطف : 10 .

(5) ينظر: الإحاطة : 155 ، وينظر: النفع ، 2 : 286-288 .

شخصية نقدية إذا ان له الكثير من الآراء النقدية حول النصوص الأدبية التي حوتها مؤلفاته التي بلغت اثنين وخمسين مؤلفاً بين مطبوع ومخطوط ومفقود<sup>(٦)</sup> ، وأشهر هذه المؤلفات المغرب في حلى المغرب ، المقتطف من أزهير الطرف ، القدح المعلى في التاريخ المحلى ، رايات المبرزين وغايات المميزين ، والمرقصات والمطربات .

لقد عدَّ ابن سعيد من القلائل الذين ترجموا لأنفسهم في مؤلفاتهم ، إذ ذكر شيئاً عن حياته ودون بعض أشعاره<sup>(٧)</sup> .

أما بالنسبة لحياته الاجتماعية فقد بقي أعزباً ولم يتزوج ولم يكون أسرة بسبب ظروف حياته التي كان يحياها ، فلم تتح له المجال كي يستقر وينشئ تلك الأسرة ، ويظهر من خلال نص شعري له أنه راض بحياته غير نادم على بذله معظم أوقاته في سبيل العلم والبحث عنه وتدوينه<sup>(٨)</sup> .

توفي ابن سعيد بعد حياة حافلة بالرحلات العلمية والتنقل بين البلدان للبحث عن المادة العلمية وتدوينها ، وكانت وفاته على أرجح الآراء عام ( 685هـ ) وفيها خلاف<sup>(٩)</sup> .

خلف ابن سعيد نتاجاً شعرياً ذكره صاحب نفح الطيب ، إذ أشار إلى انه رأى له ديوان شعر ونقل نصوصاً ومختارات في أغراض متنوعة<sup>(١٠)</sup> .

---

(٦) ينظر: مجلة آداب المستنصرية ، بحث عن: ابن سعد الأندلسي حياته وشعره ، 8-10 .

(٧) ينظر: المغرب ، 2: 161-172 ، وينظر: القدح : 1 .

(٨) للبحث عن تفاصيل أكثر عن حياة ابن سعيد ينظر: ابن سعيد الأندلسي حياته وتراثه الفكري والأدبي .

(٩) ينظر: المغرب : 1 : المدخل: 8 .

(١٠) ينظر: النفع ، 2: 274 .

## المبحث الأول

### ملامح البيئة السياسية

لقد عاش ابن سعيد المغربي في عصر اتسعت فيه دائرة الحروب والنزاعات حتى عدّ من أسوأ عصور الأندلس لكثرة فتنه وانقلاباته <sup>(١)</sup> ، وهذه الاضطرابات والنزاعات لم تكن حصراً على الأندلسي فقط بل امتدت لتشمل المشرق والمغرب على السواء ، فما زالت الحروب مستمرة بين العرب والأسبان ، وفي المشرق كانت الحياة السياسية غير مستقرة أيضاً بسبب الثورات الداخلية من جهة ودخول هولاء إلى الأراضي العربية من جهة أخرى .

كل هذه الأحداث لا بد أن يكون لها أثرها على ابن سعيد ، لا سيما أنه كان على اتصال وثيق بالشخصيات السياسية المهمة في الأماكن التي ذهبت إليها ، لأنه كان يأمل عطاءهم فينتجهم قاصداً الملوك والأمراء يمدحهم ويذكر انتصاراتهم وحروبهم في شعره مع أنه أخذ عليه ضعف المشاركة الفعلية بالتصريح بما يحدث حوله من أحداث جسام هزت العالم من حوله فلا نجد له نصوصاً شعرية صرّحت بهذه الأحداث .

ورغم ذلك فقد أشار من خلال كتاباته عن دخول التتر إلى الأراضي العربية وما فعلوه بالملك الناصر في مصر وما فعلوه مع أصدقائه في حلب من أمثال ابن العديم وابن عمه <sup>(٢)</sup> .

وقد سار ابن سعيد إلى هولاء والتقى به <sup>(٣)</sup> ، لكنه لا يشير إلى هذه الواقعة المهمة في شعره ولا يذكر أبعادها وهدفها ، ورغم هذا كله لا بد أن تنعكس ملامح البيئة السياسية وتتجلى في شعر ابن سعيد من قريب أو بعيد ، فهو لا يستطيع الابتعاد عن هذه الحياة بما تحمله من تأثير بالغ في نفوس الناس ومشاعرهم من خلال اضطرابها وتقلباتها ، فكيف بهذا الإنسان المرهف الإحساس - الشاعر - الذي لا يستطيع الانفصال عن واقعه بما يحمله من آلام وآمال بحياة أكثر استقراراً ، وكيف لا يعبر الشاعر عن مدلولات هذه الحياة ومسمياتها على أقل تقدير في نصوصه الشعرية .

ومن الملاحظ أن ابن سعيد كثيراً ما يذكر المصطلحات الخاصة بالحرب من أدواتها وآلاتها وملابسها وكل ما يتعلق بها ، كذلك يذكر ما يتعلق بالحكم والملك وصفاته وأخلاقه في نصوص معبرة عن غرضه .

وأول ما نلتفت إليه هو وقوف الشاعر على صفات الممدوح ، إذ راح يصف ممدوحه بالصفات المدحية التي وقف عليها الشاعر المشرقي ولم يخرج عن العدل ، الكرم ، الشجاعة ، الذكاء ، وحسن التدبير ، فنجده يقول:

ما برحت تغبّر منها النواح

لولا ندى يحيى وتدبيره

<sup>(١)</sup> ينظر: الأدب العربي في الأندلس : 31 .

<sup>(٢)</sup> ينظر: النفع ، 8 : 247 .

<sup>(٣)</sup> ينظر: نفسه ، 8 : 250 .

- لكن يدها سحبت كلما  
هذا وقد آمن من حلها
- (١٤) حَلَّتْ بِأَرْضِ حَلٍّ فِيهَا النِّجَاحُ  
وحفها ، من غربة وانتزاح
- وهو في هذه الأبيات يركز على صفة الكرم ويذكر الندى لأن غرضه الأول هو الحصول على عطاء الممدوح والتقرب منه . وهذا مما عُرف عن الشاعر ، فنراه يذكر صفة الكرم أكثر من غيرها ويشبهه عطاءه بالبحر يقول:
- (١٥) بحرٌ وليس نواله بمشقةٍ  
المالُ في يده شبيهُ غنَاءِ

والملاحظ أن هذه الصفات لم تبتعد عن الوصف القديم لكرم الممدوح وتشبيهه بالبحر لغزارة عطائه ، بل زيادة على ذلك جعل المال في يده كالغناء أي كشيء لا قيمة له في نظره لصغر ما يحمله السيل بالنسبة لحجمه ، وهو لا يستقر في يده ، لأنه دائم العطاء .

- ويلتفت الشاعر إلى جانب آخر من شخصية ممدوحه وهي الشجاعة يقول:
- مِنْ كُلِّ مَنْ جَعَلَ السُّرُوجَ أَرَانِكَاً  
وَالسَّمَرَ قُضْبَاً وَالْقَوَاضِبَ أَنْهَرَاً
- (١٦) مِنْ مَعْشَرَ خَبَرُوا الزَّمَانَ رِيَاةً  
وسياسة حَلَّوْا الذُّرَى حَمْرَ الذُّرَا

لقد ركز الشاعر على صفتي الكرم والشجاعة أكثر من الصفات المدحية الأخرى لطبيعة الحياة التي يعيشها ، فالتعرض لكرم الممدوح لا يبتعد عن الشاعر ؛ لأنه متصل بالعطاء والشجاعة تقترن بالحياة المضطربة المتقلبة التي يعيشها الممدوح والتي تتطلب القوة الكافية للحفاظ عليها .

- ولو التفتنا إلى جانب آخر من جوانب البيئة السياسية لوجدنا أن الشاعر يذكر بكثرة الحرب وما يتعلق بها من عدد وآلات ، فيذكر السيف بمسمياته المختلفة وكذلك الرمح ويذكر السهام والقوس والخيل والفرسان والرايات وغيرها من المسميات التي توضح حالة الحرب التي كان الممدوح يخوضها ضد أعدائه ، يقول:
- لله فرسان غدت راياتهم  
مثل الطيور على عداك تحلقُ
- (١٧) والسمر تنقط ما تسطر بيضهم  
والنقع يتربُّ والدماء تخلقُ

ورغم أن الصورة في وصف المعركة إلا أنها صورة جميلة معبرة عن القوة والشجاعة التي يمتلكها هؤلاء الفرسان ، فهو يصور سرعتهم وقوة فتكهم بالأعداء واقتدارهم عليهم من خلال تحليق الرايات فوقهم ، ويربط هنا بين البيئة السياسية والثقافية من خلال توظيف لفظي (تنقط وتسطر) في حين انه يشير إلى تركهم جنثاً هامدة في أرض المعركة .

ان هذا التجلي والوضوح للملامح السياسية في شعر ابن سعيد الغاص -إن جاز لنا التعبير- بالألفاظ الموحية بالحرب والاستعداد لها والانتصار فيها ، وما

(١٤) النفع ، 2 : 310 .

(١٥) المغرب ، 2 : 173 .

(١٦) المغرب ، 2 : 175 .

(١٧) المغرب ، 2 : 177 .

يرافقها من الأجواء المتمثلة بالنار والدخان والغبار المتناثر وأصوات السلاح وخفق الرايات ما هي ما إلا دلائل واضحة وانعكاسات لما يجده الشاعر حوله من ظروف كان لها دورها الفعّال في شعر ابن سعيد ، والشاعر إن لم يكن قد صرّح بذكر بعض الأحداث المهمة في عصره والوقوف عليها وأن كانت تستحق ذلك ، ربما لموقف معين يتصل به نفسياً أو اجتماعياً ، إلا انه كان يقف على تهنئة ملك بالنصر أو رثائه إن قتل ، والملاحظ ان أكثر مقطوعاته وقصائده رافقتها هذه الملامح وأشرنا سابقاً أن ذلك يعود إلى الحياة المضطربة وارتباط السلاح والحرب بحياة الإنسان مما أدى إلى وضوح صورها وانعكاسها في أشعار الشعراء .



## المبحث الثاني

### ملامح البيئة الاجتماعية

أول ما يفتح عليه الإنسان عينه البيئة المحيطة به وما تحمله من عادات وتقاليد وأعراف اجتماعية تنغرس في نفسية الإنسان دون أن يشعر بها ، فيجد انها تحد تصرفاته وتنطبع صوراً في مخيلته وأفكاراً ينطق بها لسانه .  
وخير مَنْ يجسد ذلك الشعراء من خلال نصوصهم التي يصورون فيها بيناتهم وما تحمله تلك البيئات من إيجابيات يرتضيها الشاعر أو سلبيات ينقدها ويحاول تقويمها .

وابن سعيد واحد من الشعراء الذين تنقلوا بين بيئات كثيرة متعددة تحمل تقاليد وأعرافاً متوافقة أو متباينة ، لكنه يبقى ابن الاندلسي تربي بين أحضان طبيعتها الجميلة وشرب عادات أهلها فأثرت فيه وانعكست في شعره صوراً تنسجها مخيلته المبدعة ، والمتأمل في شعره يجد الكثير من الصور التي رسمها ابن سعيد لتلك البيئة ، فنراه يتوغل إلى أعماقها فيرى أن الفطيم حين يبتعد عن درّ أمه يكون فراقاً أبدياً إلى غير رجعة . ويجد ان هذه الحالة هي خير ما يصور بها حاله مع أعدائه يقول:

فليهجروا هجر الفطيم لدرّه ويساعدوا الزمن الخؤون جفاء<sup>(١٨)</sup>

وهذه صورة لا تفارق المجتمع بل هي جزء منه ترتبط ارتباطاً مباشراً بالإنسان في طفولته المبكرة ، فوظف الشاعر هذه الصورة للتعبير عن أفكاره بشكل قريب من مخيلة المتلقي.  
وصورة أخرى يرسمها ابن سعيد مستسقياً إياها من البيئة المحيطة به ، يقول:

فكم رَقِصْتُ أغصانها فرمت لها نثاراً كما بدرت حلي الكواكب<sup>(١٩)</sup>

ترتبط ملامح البيئة عند ابن سعيد ، فهو يجد لصورة الطبيعة مثيلاً من المحيط الاجتماعي فحينما تتحرك الأغصان وترمي قطرات الندى لا تمتلك مخيلة الشاعر إلا ربط هذه الصورة بصورة العروس التي تنثر عليها النقود أو ما شابه فتبدو متألئة تحت اشعة الشمس ، ويربطها أيضاً بصورة الفتيات الحسان التي تناثرت عقودهن فشكل وهينة هذه القطرات التي تناثرت في الهواء وانعكست منها أشعة الشمس بدت كأنما حبات اللؤلؤ المتناثرة كما يراها الشاعر .  
وينعكس في شعر ابن سعيد جانب آخر من جوانب البيئة الاجتماعية وهو صورة مجالس اللهو والطرب في أحضان الطبيعة خاصة ، فهو يذكر الخمر

<sup>(١٨)</sup> النفع، 2: 264 .

<sup>(١٩)</sup> النفع ، 2: 288 .

بمسمياتها المختلفة وما يتعلق بها من ذكر الكؤوس وغيرها ثم يذكر وسائل الطرب المختلفة بل هو لا يجد العيش منعماً ولذيذاً إلا بالطرب يقول:  
باكر اللهو ومن شاء عتب  
لا يلذ العيش إلا بالطرب

حتى يقول بعد وصف الطبيعة:

كلُّ هذا قد دعاني للتي  
قهوةً أبسم من عجب لها  
حاكت الخمر فلما شعشت  
وبدت من كأسها لي فضةً  
ملكنت رقيّ على مرّ الحقب  
عندما تبسمُ عجباً عن حبيب  
قلت ما للخمر بالماء التهبُ  
ملئت إذ جمدت نوب الذهبُ (٢٠)

ان هذه المجالس وما يرافقها يتعلق بنفسية الشاعر تعلقاً شديداً ، إذ يصف الشراب وصفاً دقيقاً في الكثير من نصوصه الشعرية ، ويربطه بالطبيعة كأنه يجده جزءاً منها .

ولو طالعنا شعره لوجدناه يكثر من وصف الخمر بشكل لافت للنظر ربما لأنه ارتبط بالحياة الاجتماعية في ذلك الوقت ارتباطاً واضحاً رغم أنهم يعيشون في مجتمع مسلم يحرم الخمر ، إلا انه عندهم من العادات الاجتماعية المعروفة ، فدخل وصفه في الأغراض الشعرية وارتبط بها ارتباطاً واضحاً ، إذ احتل مكاناً لدى الشاعر الأندلسي فشكّل في بعض الأحيان جزءاً مهماً من القصيدة عند بعض الشعراء الأندلسيين (٢١) .

وهو لا يفارق الحياة الاجتماعية بل يحط على كل كبيرة وصغيرة فيصفها أو يدخلها في وصف شيء معين ، فهو يعمد إلى ذكر الثياب والخلي والجواهر ، ومختلف وسائل الزينة في شعره ، فنراه مثلاً يذكر الخلة ، الثوب ، رداء ، منزر ، وشاح ، برد ، نطاق ؛ ومن الخلي يذكر: عقود ، قلاند ، قرط ؛ ومن الجواهر: الذهب ، الابريز ، فضة ، لجين ، درّ ، مرجان ، عقيق ، كما يذكر الكحل والخضاب التي لا تفارق المرأة داخل المجتمع ، ومن هذا التركيز على ذكر كل هذه المفردات نلاحظ اهتمام الشاعر الذي يشير إلى اهتمام مجتمعه بهذه الامور ، وأن التنوع في المفردات يشير هو الآخر إلى شدة الاهتمام بالثياب والزينة لاسيما في المجتمع الأندلسي ، فنجدده يقول:

يا نسيماً من نحو تلك النواحي  
أسقتها الغمام رياً فلاحت  
كيف بالله نور تلك البطاح  
في رداءٍ ومنزرٍ ووشاحٍ (٢٢)

فهو يربط هنا بين الطبيعة وما يكسوها من جمال والثياب التي يلبسها الإنسان بأشكالها المختلفة.

(٢٠) النفع ، 2 : 289 .

(٢١) ينظر : مقدمة القصيدة ، 94 ما بعدها .

(٢٢) النفع ، 2 : 308 .

ويقول:

سقى الله أرضاً زرت روضها  
تجلت عروساً والمياه عقودها  
كساها وحلاها بزينتة القرط  
وفي كل قطر من جوانبها قرط<sup>(٢٣)</sup>

يصف الشاعر هنا أرض القرط ويبين جمالها ويربطه بجمال الطبيعة ولا يجد إلا صورة العروس وزينتها فيشبهها بها ، وبذلك فهو لا يستطيع الانفصال عن المجتمع ، بل يركز إليه في التعبير عن خلجات نفسه ورسم صورته . وهناك بعض العادات والتقاليد الموجودة في المجتمع والتي يذكرها الشاعر في شعره مثل (قرى الأضياف ، التشاؤم من الغراب ، تقبيل يد الممدوح ، وإصلاح الخرق)<sup>(٢٤)</sup> ، هذه عادات توجد في المجتمع قد وظفها الشاعر بصورة ذكية لخدمة غرضه وإيصال فكرته إلى المتلقي ، وهو في كل هذا لا يبتعد عن المجتمع بل يرتبط به ارتباطاً وثيقاً .

<sup>(٢٣)</sup> النفع ، 2 : 246 .

<sup>(٢٤)</sup> ينظر: النفع ، 2 : 272 ، 276 ، 277 .

## المبحث الثالث

### ملامح البيئة الثقافية

ارتبطت الثقافة بحياة ابن سعيد ارتباطاً وثيقاً منذ أن أبصر النور وبدأ يدرك ما حوله ، فراح ينهل من مختلف العلوم والفنون وألوان الثقافة في عصره ، لاسيما أن الحياة الفكرية ازدهرت في عصره ازدهاراً واضحاً من خلال تشييد المدارس والاهتمام بنسخ الكتب وتجليدها وتأسيس المكتبات مع الاهتمام بالبعثات العلمية<sup>(٢٥)</sup> ، وقد وصفت بانها كانت منار إشعاع فكري وحضاري رغم الظروف السياسية القاسية والصراعات المدمرة التي كانت تمر بها<sup>(٢٦)</sup> .

أما ابن سعيد فقد نهل من تلك الثقافة الشيء الكثير وما ان جرى الشعر على لسانه حتى بدت ملامح تلك الثقافة واضحة في شعره .

وأول ما يلاحظ من ألوان تلك الثقافة ، الثقافة الدينية والتي كان لها ظهور واضح في شعره ، فهو يستقي من القرآن الكريم في العديد من آياته وصوره وألفاظه فيربطها بواقعه وحياته ، يقول:

قد جاء نصر الله والفتح	والصبح لما رضيت "صُبْحُ"
فهنئوني بارتجاع المنى	لولا الرضى ما برح البرح
يا أورقا يا غصنا يا نقا	يا ظبية بالليل يا صبح
يصحو جميع الناس من سكرهم	ولست من سكركم أصحو

(٢٧)

وربما يبالغ الشاعر هنا ، إذ يجد أن رضا المحبوب هو نصر وفتح له ، وقد وظف الآية الشريفة التي بشرت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين بفتح مكة وتحقيق النصر للمسلمين يقول تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)<sup>(٢٨)</sup> . والملاحظ أن الشاعر قد وضعها هذا الموضع ربما ليشير إلى أهمية المحبوب بالنسبة له فلا يكون رضاه وفرحه بهذا الرضا إلا كفرحة النصر ، وقد أبدل لفظ (إذا) التي تدل على المستقبل ب(قد) التي تشير إلى تحقق الفعل للدلالة على وقوع الرضا وحصوله ، وربما جاءت هننوني في البيت الثاني لتعزز معنى النصر بل هي من متطلباته، وربما نبأ فقول أنها جاءت موازية لمعنى التسبيح والاستغفار في السورة الكريمة والذي يكون كنتيجة أو شكر على هذا النصر.

والملاحظ على هذا النص أنه نص يدنو من الكمال فكل ملامح البيئة عند الشاعر تترايط فيه فتظهر ملامح البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية والطبيعية أيضاً، لتعبر بصورة موحية عما يحس به الشاعر ويدور في خلداه. ويقول في موضع آخر موظفاً ألفاظاً قرآنية:

(٢٥) ينظر: التجديد في الأدب الأندلسي : 32 .

(٢٦) ينظر: الأدب العربي في الأندلس : 58 .

(٢٧) النفع ، 2 : 304 .

(٢٨) النصر : 1 .

ومرامي وقبلة الأشواق  
داءً من كلِّ وابلٍ غِيْدَاقِ  
فيه يُسقى المُنَى بكأسِ دِهَاقِ (٢٩)

حَلَبٌ إنْهَا مَقَرُّ غِرَامِي  
لَا خَلَا جَوْ سَقٍّ وَبَطْيَاسٌ وَالسَّعْدُ  
كَمْ بِهَا مَرْتَعٌ لَطْرَفٍ وَقَلْبُ

لقد وظف الشاعر هنا لفظة القبلة التي يتوجه إليها المسلمون في الصلاة وهي محط أنظارهم ليصور بها هذه المدينة التي أحبها فكانت مقصداً لأشواقه ومكاناً لها. ثم عززها بصورة قرآنية وهي صورة الكأس الممتلئ وهو وصف قرآني لكأس الجنة بقوله تعالى "وَكَأْسًا دِهَاقًا" (٣٠) فهو يحاول أن يقرب بين صورة الجنة التي وصفها الله تعالى وهذه الرياض التي تمنح روحه قبل بصره السرور والجمال. وهو لا يقف عند هذا الحد بل وظف الكثير من الألفاظ والعبارات القرآنية في سبيل إيضاح الصورة وتقريبها من مخيلة القارئ فهو يوظف على سبيل المثال (عموا و صموا، قضاء الله، بلدة طابت ورب غافر، جنات عدن) (٣١) و(يوسف، سورة الحمد) (٣٢).

إن الثقافة التي نهل منها الشاعر تنعكس على شعره وتجري على لسانه في مختلف المجالات فنجده يقول من قصيدة طويلة في باب المدح النبوي لا تظهر فيها الثقافة التي تناولها من خلال الكتب فقط بل يظهر فيها ما أخذه عن طريق المشاهدة والمعرفة الذاتية والإطلاع:

لولا رسول الله لم ندر الهدى  
يا رحمة للعالمين بعثت والذند  
أطلعت صباحاً ساطعاً فهديت للـ  
لم تخش في مولاك لومة لائم  
وبه غدا نرجو النجاة ونسعدُ  
يا بجنح الكفر ليلٌ أربدُ  
إيمان إلا من يحمي ويجددُ  
حتى أقر به الكفور الملحدُ (٣٣)

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة قالها متشوقاً إلى قبر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما تعذر عليه الحج في ذلك العام، ووقف في هذه القصيدة على وصف شوقه وحنينه إلى الثرى الذي ضم الجسد الطاهر وإلى يثرب ويتمنى أنه تمكن من الوصول إليها ثم يذكر حبه الكبير للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويذكر معجزاته ومكانته عند الباري عز وجل وبين الناس ويتعرض لبعض الجوانب من التاريخ الإسلامي الذي مثل جانباً مهماً من ثقافته. أما الجانب الآخر من ثقافته فكان ثقافة عامة في جوانب مختلفة مثل اطلاعه الواسع على التاريخ ويظهر ذلك من ذكره للشخصيات المختلفة في شعره مثل قوله مادحاً ابن عمه الرئيس أبا عبد الله ابن الحسين:

(٢٩) النفع: 2:326.

(٣٠) البيا: 34.

(٣١) النفع: 2:274، 280، 281، 283.

(٣٢) المغرب: 2: 175.

(٣٣) النفع: 2: 314.

سمو آل هذا العصر حاتم جوده  
فتى سیر الأمداح شرقاً ومغرباً  
إذا رقم القرطاس قلت ابن مقلّة  
وإن نثر الأسجاع قلت سميه  
وما أحرز الصولي آدابه التي  
مُهلبيه إن مارسته حروب  
أبو دلف من دونه وخصيب  
وإن نظم الأشعار قلت حبيب  
وإن سرد التاريخ قلت عريب  
إذا ما تلاها لم يجبه أديب<sup>(٣٤)</sup>

وهذه قطعة غريبة حوت جوانب تاريخية وعلمية مختلفة وبسبب إطلاعه  
الواسع على التاريخ راح يشبه الممدوح بالشخصيات البارزة في المجالات المختلفة  
العلمية والأدبية وحتى الخلقية، وقد استعمل أسلوباً ذكياً في رسم صورته فحينما  
أراد وصفه بالوفاء شبهه بالسؤال أو الكرم فشبهه بحاتم الطائي أو الشجاعة  
وممارسة الحروب فشبهه بالمهلب بن أبي صفرة، وأبي دلف والخصيب من  
الشخصيات المعروفة بالشجاعة. ولم يكتف بذلك بل جعله جيد الكتابة كابن مقلّة  
جيد الشعر كأبي تمام، جيد النثر كابن العميد عارف بالتاريخ كعريب وليتم حلقة  
العلم والمعرفة حول ممدوحه شبهه بأبي بكر الصولي الذي كان موسوعياً في  
معرفته<sup>(٣٥)</sup>. وهذه التشبيهات أضفاها الشاعر على ممدوحه ليدلّل من خلالها أن  
المدح يكون بالاشادة بتكامل عناصر الثقافة لدى الممدوح، ولولا أهمية هذه الثقافة  
لما ركز الشاعر عليها هكذا وهذا دليل على أهمية الثقافة في عصر الشاعر.  
وجانب آخر من جوانب ثقافته يتضح من خلال شعره وهو إمامه بالناحية  
الجغرافية أي أسماء البلدان ومواقعها ومن يسكنها كل ذلك بسبب رحلاته وزياراته  
لها ويذكر في شعره أسماء كثيرة كدار السلام، مصر، القاهرة، الفسطاط، تونس،  
ومراكش وغيرها من البلدان التي زارها.

يقول حينما حُتّ على العودة لزيارة القاهرة:  
يقولون سافر إلى القاهرة  
زحام وضيق وكربّ وما  
وما لي بها راحة ظاهرة  
تثير بها أرجل سائرة<sup>(٣٦)</sup>

وهذه تجربة حقيقية استقاها ابن سعيد من زيارته للقاهرة فلم يجد فيها إلا  
الزحام والضيق والكرب والغبار الذي تنثره أرجل المارة، فهو حين يقف على البلد  
فإنه يتحدث عن كل ما يتعلق به هوائه ومائه وتربته وساكنيه موظفاً الشعر والنثر  
في خدمة هذا الغرض.

وعلى العكس تماماً من وصفه للقاهرة بقول واصفاً الفسطاط:  
نزلنا من الفسطاط أحسن منزل  
حلا ماؤه كالرقيق ممن أحبه  
بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد  
فمدّت عليه حُلّة من حلى الخدّ

<sup>(٣٤)</sup> النفع: 2: 274 – 275.

<sup>(٣٥)</sup> ينظر: لمزيد من التفاصيل حول هذا النص: ابن سعيد الأندلسي: 269-270

<sup>(٣٦)</sup> النفع: 2: 346.

وقد كان مثل النهر من قبل مدّة فأصبح لما زاده المدّ كالورد (٣٧)

وقد علق ابن سعيد على هذه الأبيات موضحاً الصورة فيها بقوله: "وقلت هذا لانني لم أذق من المياه أحلى من مائه، وإنه يكون قبل المدّ الذي يزيد به ويفيض على أقطاره أبيض. فإذا كان عباب النيل صار أحمر" (٣٨) وهذه من الصور التي أعجبت الشاعر فخلدها في شعره. وهو بذلك يكوّن ثقافته الخاصة عن تلك الأماكن التي زارها ونزل فيها.

كما تظهر في شعره آثار ثقافته اللغوية والأدبية ولا يخفى أنه تتلمذ على يد علماء أجلاء كان لهم أثرهم المباشر في غرس هذه العلوم في عقلية هذا الأديب المبدع ولا بد أن تظهر هذه الثقافة في نصوصه الشعرية وتبدو انعكاساتها في صورته يقول:

لا خيب الله أجر عيسى  
فكم يداني ألفاً من ألف  
يقرن هذا بذاك فضلاً  
كأنه - الدهر - واو عطف (٣٩)

وهنا يشير إلى عمل واو العطف في الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ويوظفها في هذه الصورة لتدلّ على حضور هذه الثقافة في فكر الشاعر. ولا تخفى ملامح الجانب الأدبي عند ابن سعيد في نصوصه الشعرية فهو كما مر بنا سابقاً أدخل في نص واحد ذكر العديد من الشخصيات الأدبية كابن العميد وأبي تمام والصولي، كذلك فقد استقى ابن سعيد بعض معانيه الشعرية ممن سبقه من الشعراء، يقول:

كواكبها تبدو إذا ما تركتها  
وقد جعلت مهما حضرت تغيب (٤٠)

وهو يستقي المعنى من قول النابغة الذبياني:  
فإنك شمس والملوك كواكب  
إذا طلعت لم بيد منها كوكب

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة اطلاعه على الشعر العربي القديم وتوظيفه بصياغة جديدة تناسب الموقف الذي يكون فيه الشاعر. ولا يخفى الميل الشديد لتوظيف الأمثال في شعره والاستفادة من قيمتها البلاغية والأدبية، ففي أكثر من موضع يميل ابن سعيد إلى تعميق المعنى من خلال توظيف مثل يوحى بالحالة التي يكون فيها الشاعر يقول:  
توقعوا في القرب منه الردى  
من صحبة الأجر ب يخشى الصحاح (٤١)

وهذا من الأمثال التي وظفها الشاعر في شعره وكذلك يقول:  
واليم لا يعرف ما طعمه  
إلا الذي وافى لأن يشرباً

(٣٧) النفع: 2: 342.

(٣٨) النفع: 2: 342.

(٣٩) المغرب: 2: 177.

(٤٠) النفع: 2: 275.

(٤١) النفع: 2: 311.

فهو يوظف المثل ليختصر من خلاله الكثير مما يمكن أن يقال لما تحمله  
الأمثال من قيمة بلاغية وأدبية واضحة.

ومن الملامح الثقافية البارزة في شعر ابن سعيد هي توظيفه لمعالم القراءة  
والكتابة والتي تعد الوسيلة الأولى التي يتعرف الإنسان من خلالها على المعرفة  
ويحصل عليها. فتظهر في شعره مفردات مثل: الأقلام، كتاب، صفحة، خط، أسطر  
وغيرها من الألفاظ الموحية بهذا الجو التعليمي، يقول:  
كتبت به فوق النواضر أسطر فعليه من خط النسيم حروز<sup>(٤٢)</sup>  
وتحتشد هنا ألفاظ الكتابة ليحاول الشاعر من خلالها إيصال فكرته التي يعبر  
عنها، ونراه في موضع آخر يقول:

كأما النهر صفحة كتبت  
لما أبانت عن حسن منظرها  
أسطرها، والنسيم ينشئها  
مالت عليها الغصون تقروها<sup>(٤٣)</sup>

في هذه الأبيات نظر ابن سعيد إلى النهر كيف يحرك النسيم صفحة الماء فلا  
تتمالك مخيلته إلا تشبيه هذه الصورة بصورة الصفحة التي فيها أسطر مكتوبة،  
ويبالغ فيرى أن الأغصان المتمايلة على صفحة الماء راحت تقرأ ما كتب على هذه  
الصحيفة.

وهو ينظر إلى غربة العالم بين الجهال ويتألم من هذا المنظر الذي يعصر قلبه  
في كل حين ويعاني منه في كل مكان يحل فيه يقول:

فياليت أني لم أكن متأدبا  
وكنت كبعض الجاهلين محببا  
ولم يك لي أصل هنالك رسوب  
فما أنا اللهم الملم حبيب  
وما إن ضربت الدهر زيدا بعمره  
ولم يك لي بين الكرام ضريب<sup>(٤٤)</sup>

إن هذه العقلية التي قضت معظم أوقاتها بين الكتب والأقلام لا بد أن ترتبط هذه  
اللامح بمخيلتها فتنتقل على لسان صاحبها صوراً موحية بكل الملامح الثقافية  
التي يتعامل معها الشاعر. وقد بدت هذه الملامح واضحة المعالم عند ابن سعيد.

<sup>(٤٢)</sup> المغرب: 2: 176.

<sup>(٤٣)</sup> النفع: 2: 271.

<sup>(٤٤)</sup> النفع: 2: 277.



## المبحث الرابع:

### ملامح الطبيعة

الطبيعة هي الركيزة المهمة التي يركز عليها الشاعر الأندلسي ولا تنفصل عن أحاسيسه ومشاعره بل ترتبط بوجوده وتنطلق على لسانه ممتزجة بأغراضه الشعرية كافة فحين يفرح يجد فرحه مع الطبيعة، وحين يحزن يجد مواساته من خلالها، وحينما يصف تتطابق أوصافه معها.

ولا تختلف ملامح الطبيعة عند ابن سعيد عن غيره من الشعراء إلا في طريقته الخاصة في تعامله مع الموجودات وكيفية تصويرها. لقد ظهرت الطبيعة عند ابن سعيد بصورة واضحة المعالم في أغراضه كافة فهو حين يمدح أو يتغزل يلجأ إلى الطبيعة، كما يلجأ إلى وصف بعض مظاهر الطبيعة أو الحيوان في مقطوعات مفردة ومن ذلك وصفه للفرس، الغراب، كلب الصيد وغيرها وأهم الحيوانات التي وصفها في مواضع مختلفة (الفرس) ربما لارتباط هذا الحيوان بالحياة العامة والخاصة في المجتمع في ذلك الوقت، يقول:

وأجرد تبريٍّ أثرْتُ به الثرى  
له لون ذي عشقٍ وحسنٍ مُعشِقٍ  
عجبت له وهو الأصيل بعرفه  
يقيد طير اللحظ والوحش عندما  
وللفجر في خصر الظلام وشاح  
لذلك فيه دلة ومراح  
ظلامٌ وبين الناظرين صباح  
يطير به نحو النجاح جناحٌ<sup>(٤٥)</sup>

لقد توقف الشاعر على أدق التفاصيل التي يمتلكها هذا الحيوان، وبقوة ملاحظته راح يصف سرعته ولونه وشكله ويتضح من هذه المقطوعة شدة إعجاب الشاعر بهذا المخلوق الذي منحه الله تعالى مواصفات خاصة تميزه عن غيره من المخلوقات.

لقد شكلت الطبيعة بكل أبعادها ومسمياتها لوحات فنية جميلة تناسب على لسان الشاعر فلا يترك ملمحاً من ملامح الجمال حوله إلا أدخله في تشكيل لوحته فهو يلتفت إلى الأشجار والأزهار والمياه والأمطار والطيور والشمس والقمر والنجوم وغيرها من الموجودات حوله ويصوغها في أبيات يعبر من خلالها عما ينطبع في مخيلته عن هذه الطبيعة الغناء فنراه يقول واصفاً جمال الطبيعة:  
والأفق طلقٌ والنسيم رخاءُ  
والنهر قد مالت عليه غصونهُ  
وبدا نثار الجنار بصفحه  
والشمس قد رقت طرازا فوقه  
والروضُ وشّت برده الأنداءُ  
فكأنما هو مقلّةٌ وطفاءُ  
فكأنما هو حيةٌ رقطاعُ  
فكأنما هو حُلّةٌ زرقاءُ<sup>(٤٦)</sup>

(٤٥) النفع: 2: 267.

(٤٦) النفع: 2: 263.

فهو في هذه الأبيات يقف عند هذا الروض ويصف ما فيه بل يصف أدق التفاصيل التي تسنح على الروض الجمال الخلاب ويركز هنا على وصف النهر لأنه مدار الجمال ومركزه وهو مسبب الحياة لهذا الروض الجميل الذي أحاطت به الأغصان ونثرت فوقه الزهور الصغيرة وطرزته أشعة الشمس بخيوطها الذهبية، فأى جمال يداعب إحساس الفنان المرهف أكثر من هذا؟

ويقول في موضع آخر:  
حمى الله من شطي حماة مناظرا  
تغني حماماً أو تميل خمائل  
وقفت عليها السمع والفكر والظرفا  
وتزهي مبانٍ تمنح الواصف الوصفاً<sup>(٤٧)</sup>

وهنا يربط جمال الطبيعة بما يحسه من مشاعر فيجد في كل ما يدور حوله معالم الجمال التي تنطق وتعبّر عن نفسها، وهو لا يجد الجمال في النبات فقط بل يمتد إلى مظاهر العمران التي توحى بالجمال أيضاً. وتتوحد الطبيعة مع ذاته ووجدانه إذ راح يقرن ألمه المتسبب من وداع أحبائه ولا يوجد له مثيل إلا توديع فصل الربيع يقول:  
وداعٌ كما ودعتُ فصل ربيع  
لئن قيل في بعضٍ يفارق بعضه  
يغض ضلوعي أو يفيض دموعي  
فإني قد فارقت منك جميعي<sup>(٤٨)</sup>

ولا يخفى من كل ما سبق أن ابن سعيد يجعل من الطبيعة متنفسه وملأذه الذي ينفذ من خلاله إلى صورته الناطقة المفعمة بعطر الطبيعة، النابضة بالحياة المستوحاة مما حوله في كل أغراضه فهو في كل أحواله يحاول أن يلبس نصوصه بروداً موشاة بالخضرة مندادة بقطرات الندى متناغمة مع أصوات الطبيعة الغناء، ومن كل ما سبق لا يخفى أن ملامح الطبيعة عند ابن سعيد انعكست بوضوح من خلال نصوصه.

<sup>(٤٧)</sup> النصح: 2: 236.

<sup>(٤٨)</sup> نفسه: 2: 236.

## الخاتمة

- 1- ابن سعيد واحد من الشخصيات الثقافية والأدبية التي عاشت في عصر كثرت فيه العلوم والمعارف وكذلك الصراعات والفتن، وامتاز بكونه شخصية موسوعية تظهر علميته من خلال مؤلفاته الكثيرة التي تركها والتي تعد نافذة نطل من خلالها على عقلية كاتبها، إضافة إلى أشعاره التي عكست هي الأخرى هذه العقلية.
  - 2- امتاز ابن سعيد برحلاته الكثيرة وتنقله بين المشرق والمغرب وهذا التنقل منحه أفقاً أوسع لبيئة شملت كل الأماكن التي زارها، لكنه يبقى ابن الأندلس الذي يحن ويتشوق إليها ويشعر بالغربة بعيداً عنها لأنها انغرست فيه صغيراً، وتبدو شدة ارتباط الشاعر وتعلقه ببيئته بشكل جلي من خلال أشعاره.
  - 3- يمكننا أن نقول أن ابن سعيد ابتعد عن بيئته السياسية من ناحية، والتصق بها وعبر عنها من ناحية أخرى، فلا نجده يذكر أو يصرح ببعض الأحداث المهمة والتي قلنا سابقاً أنها هزت العالم من حوله، في حين أنه عكس كمرآة واضحة ملامح البيئة السياسية من خلال الألفاظ التي وظفها في شعره وتخليده لبعض الانتصارات التي حققها ومدوحه في غزواتهم.
  - 4- مثلت البيئة الاجتماعية ركيزة أساسية ارتكز عليها الشاعر فصور كل ما موجود حوله من عادات وتقاليد اجتماعية ونهل من كل ما أفرزه المجتمع من وسائل الزينة واللهو ليدخلها في صور معبرة ناطقة عن مجتمعه الذي عاش فيه ربما لكونه عنصراً بارزاً في ذلك المجتمع.
  - 5- إن الملامح الثقافية واسعة النطاق في شعر ابن سعيد إذ يقف في مقدمتها الثقافة الدينية والتي يستقيها من القرآن الكريم بألفاظه وصوره كذلك يستفيد من التاريخ الإسلامي، وبعض الحوادث المتعلقة بهذا التاريخ، ثم ثقافته الخاصة عن طريق رحلاته ومشاهداته.
- وتتوسع حدود ثقافته لتشمل علوماً أخرى مثل التاريخ والجغرافية، واللغة والأدب، ولا يبتعد عن ذكر وسائل العلم والمعرفة وأدوات الكتابة وما يتعلق بها وإدخالها في نصوص معبرة موحية تدل على مدى تعلقه بها.
- 9- لم يترك ابن سعيد ملمحاً من ملامح الطبيعة إلا وصفه أو أدخله في نصوصه الشعرية إذ كانت الطبيعة واحدة من الروافد التي تزوده بالصور وتمده بالأفكار، ولا يخفى أن ملامح الطبيعة عنده كانت شديدة الوضوح وغطت مساحة واسعة من شعره.
- وأخيراً فإن هذا غيض من فيض في خضم الثقافة الواسعة التي حصل عليها ابن سعيد وما هو إلا محاولة لتحديد صورة البيئة التي عاش فيها وعبر عنها. وانعكست ملامحها من خلال نصوصه الشعرية.

والله الموفق إلى سواء السبيل

## المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن سعيد الأندلسي حياته وتراثه الفكري والأدبي، محسن حامد العبادي، القاهرة، د.ت.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب، ت محمد عبد الله عنان، ط1، القاهرة، 1977.
- اختصار القدر المَعلى في التاريخ المَحلى، لابن سعيد علي بن موسى، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، ت.د. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.
- الأدب العربي في الأندلس، تطوره موضوعته أشهر أعلامه، د. علي محمد سلامة، الدار العربية، ط1، لبنان، 1989م.
- التجديد في الأدب الأندلسي، د. باقر سماكة، ط1، بغداد، 1971م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للمحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مصر، 1967م.
- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة، مصر، 1951م.
- مجلة آداب المستنصرية، ع: 32، لسنة 1998، ابن سعيد الأندلسي حياته وشعره، د. سامي مكي العاني.
- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسي، ت.د شوقي ضيف، ط 3، دار المعارف، مصر، د.ت.
- المقتطف من أزاهير الطرف، لابن سعيد الأندلسي، ت.د. سيد حنفي حسنين، مصر، 1983م.
- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي دراسة موضوعية فنية، د. هدى شوكت بهنام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2000م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني، ت.د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.